آخِرُ خطابات الملك المخلوع!
أو خطبة الوداع

طراد الكبيسي

إلى/ سماح سهيل إدريس(*)

ـ ١ ـ

أيها الفتى البهيُّ، الباهرُ الألمعيُّ،
لِمْ أبكيتَنا ذاكَ المساء
لِمْ فتَّحتَ جروحاً نداريها في الخفاء!
أوردةٌ هذه الكيمياء،
يصبُغها الليلُ بالأصفر والأحمر وزرقةِ الأطلسيِّ
وآخر حسراتِ الملكِ الأندلسيِّ!
أصخرةٌ هذه التوتياء،
يركزُها الفتى العربيُّ،
تَنزُّ دماً وماء،
ليعلم مَنْ بمصرَ، ومَن بالعراقِ، ومَن بالشَامِ
ومَنْ بالمغربِ العربيِّ
أنّا دَخْلنا فحمةَ الليلِ، في عصرِ الهمجيِّ
وهذي عِرْسُنا،
عليها قلائدُ،
من فُضول الأجنبيِّ!

ـ ٢ ـ

كيف لي أنْ أحفظَ لحظةَ الأبد،
كيف لي أنْ أدخُلَ المتاهةَ دون أن يصدَّني أحد،
كيف لي أنْ أقبضَ الصرخةَ قبل أنْ تنطلقَ،
كيف لي أنْ أضمنَ ألاَّ يَمْحُوَ الموتُ هذي القصيده!

ـ ٣ ـ

أشعرُ أني بحاجةٍ إلى قلب غير قلبي،
أشعر أني بحاجةٍ إلى يدٍ تَقدِرُ أنْ تلمسك،
أشعر أني بحاجة إلى وقتٍ غير مقطوع،
أشعر أني بحاجة إلى صوتٍ غير مبتلّ،
أشعر أني بحاجة إلى سلام غير أرضي،
وإلى أرضٍ بلا جدران وبوَّابات!
بهذه وَحْدَها أستطيعُ أن أحفَظ حُبّك
بهذه وَحْدَها أستطيع أن ألمسك
بهذه وحْدَهَا أستطيعُ أن أقبض على لحظةِ الأبد
بهذه وَحْدَها أستطيعُ أن أُنْبِئَ بالفجيعه
بهذه وَحْدَها أستطيع أن أقول ما يحمل القَلب!

ـ ٤ ـ

وأنا أنظرُ في الأوديسة
أرى حروباً وبحوراً وظلمات
وأسمعُ وَقْعَ خَيْلِ الغُزاة
أسألُ ابن خلدون:
ماذا نفعل يا عبد الرحمن؟
كيف نحمي فاس، والقاهرة، وبغداد، وأبواب الشام؟
كيف نحمي مزارعَ تقضُمها الصحراء،
ومياهاً يسرقها الأعداء،
كيف نقبض على عمر يتسرَّب مثل الماء؟
كيف نجني رؤوساً أَيْنعَتْ وحان قطافُها؟
وأنا أنظرُ في (خريف البطريرك)..
تقتربُ الطائراتْ..
يشتدُّ القصفُ،
تنطفئُ الدنيا..
وتعُمُّ الظلمات!

ـ ٥ ـ

في العام ١٤٩٢ خرج الأندلسيّون من الأندلس
في العام ١٩٩٢ خرج الفلسطينيون من فلسطين
في أيّ عامٍ سيخرج العرب من ديار العرب!؟

بغداد

(*) أرسل الشاعر العراقي قصيدته هذه بعد ان قرأ افتتاحية عدد **الآداب** المخصّص للأدب العراقي الحديث (١٢/١١، ١٩٩٤).